العودة

عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد تغيرت حالها.

هذه الكعبةُ كنَّا طائفيها والمصلِّين صباحًا ومساءَ
كم سجدنا وعبدنا الحسنَ فيها! كيف باللّه رجعنا غرباء؟!

* * *

دارُ أحلامي وحبِّي لقيتنا في جمود مثلما تلقى الجديدْ
أنكرتْنا وهْي كانتْ إن رأتْنا يضحك النورُ إلينا من بعيدْ

* * *

رفْرَفَ القلبُ بجنبي كالذبيحْ وأنا أهتف: يا قلبُ اتَّئدْ
فيجيب الدمعُ والماضي الجريحْ لِمَ عُدنا؟ ليت أنَّا لم نعد!

* * *

لِمَ عُدنا؟ أَوَ لم نطوِ الغرامْ وفرغنا من حنين وألمْ
ورضينا بسكون وسلامْ وانتهينا لفراغ كالعدم؟!

* * *

أيها الوكرُ إذا طار الأليفْ لا يرى الآخرُ معنًى للمساءْ

ويرى الأيام صُفرًا كالخريفْ نائحات كرياح الصَّحراء

* * *

آهِ مما صنع الدهرُ بنا! أَوَ هذا الطللُ العابس أنتَ؟!
والخيال المطرق الرأس أنا شدَّ ما بتْنا على الضنك وبتَّ!

* * *

أين ناديكَ؟ وأين السمرُ؟ أين أهلوكَ بساطًا وندامى؟
كلّما أرسلتُ عيني تنظرُ وثبَ الدمعُ إلى عيني وغاما

* * *

مَوْطِنُ الحسن ثوى فيه السأمْ وسرتْ أنفاسُه في جوِّهِ
وأناخ الليلُ فيه وجثمْ وجرَتْ أشباحُه في بهوهِ

* * *

والبِلى! أبصرتُه رأيَ العيانْ ويداه تنسجان العنكبوتْ
صحتُ يا ويحكَ تبدو في مكانْ كلُّ شيءٍ فيه حيٌّ لا يموتْ!

* * *

كلُّ شيءٍ من سرور وحَزَنْ والليالي من بهيجٍ وشَجِي
وأنا أسمعُ أقدامَ الزمنْ وخُطى الوحدةِ فوق الدرجِ

* * *

رُكْنِيَ الحاني ومغنايَ الشفيقْ وظلال الخلدِ للعاني الطليحْ
علم الله لقد طال الطريقْ وأنا جئتكَ كيما أستريح

* * *

وعلى بابكَ أُلقي جعبتي كغريب آب من وادي المِحنْ!
فيكَ كفَّ الله عنِّي غربتي ورسا رَحْلي على أرض الوطن!

* * *

وطـنـي أنـتَ ولـكـنِّـي طـريـدْ أبـديُّ النـفـيِ فـي عـالَـم بـؤسـي!
فـإذا عـدت فـلـلـنـجـوى أعـودْ ثم أمضي بعدما أُفرغ كأسي!